نظرية البنيوية : الوكالة، والبنية والحياة اليومية

إيزابيل ديك وروبن أ. كيرنز

ترجمة بتصرف
أ.د. مضر خليل عمر

مقدمة

في هذا الفصل ، نناقش نظرية الهيكلية في التحليل الجغرافي . بدلاً من أن تكون نظريةً قابلةً للتطبيق ، يرى عالم الاجتماع أنتوني جيدنز (1984) أنها مفيدةٌ في توفير مفاهيم "مُحسِّسة" في تحليل تكوين الفرد والمجتمع . وقد أشار انخراط الجغرافيين في نظرية الهيكلة (البنيوية) ، في البداية في ثمانينيات القرن العشرين ، إلى الاستكشاف المكثف للطرق التي يمكن أن تُثري بها النظرية الاجتماعية فهم "الجدلية الاجتماعية المكانية" (راجع سوجا، 1980) . ومع تنافس المادية التاريخية مع الإنسانية في وضع نظرياتٍ حول تكرار العلاقات الاجتماعية والهياكل المكانية (ينظر على سبيل المثال جريجوري وأوري، 1985)، فقد وفرت مفاهيم الهيكلة نقطة دخول جذابة للجغرافيين الذين دخلوا في نقاش الوكالة والهيكلية الذي كان بارزًا في ذلك الوقت . لقد شكّلت صياغة غيدنز الخاصة لنظرية الهيكلة إشكاليةً للفاعلية البشرية ، وفكّكت مفهوم الثنائية "الكلي" / "الجزئي" في هذه العملية . ومن خلال هذه النظرية ، حثّ على وضع تصور لسياقية الحياة الاجتماعية ، يتماشى جيدًا مع الاهتمامات الجغرافية المعاصرة ، وقد تبنّاه بشكل ملحوظ غريغوري (1981؛ 1982؛ 1989)، وبريد (1984)، وثريفت (1985).

وقد تمّ تناول هذه الإشكالية الدائمة بأشكال مختلفة من خلال العلوم الاجتماعية ؛ وهنا نقدّم الحجج على الأهمية المستمرة لنظرية الهيكلة في العمل الجغرافي . ظل الاهتمام بأسلوب غيدنز في دمج الفاعلية والبنية في "بناء الجسور" بين الإنسانية (ينظر الفصل 3) والماركسية (ينظر الفصل 5) في البداية محصورًا بشكل أساسي ضمن نقاشات الجغرافيا الثقافية والاجتماعية ، إلا **أن مفاهيم الهيكلية تُشكل الآن ، صراحةً أو ضمنًا ، العمل في مختلف فروع الجغرافيا** . يُضفي الاهتمام بالعلاقة المعقدة بين الفاعلية البشرية وقيود البنية أرضية مشتركة على مجال البحث في الجغرافيا البشرية ؛ وبينما تُناقَش هذه الإشكالية بطرق متنوعة من خلال وجهات نظر نظرية مختلفة ، فإن شرح غيدنز المُركّز للغاية يُقدّم بيانًا أساسيًا قويًا يُمكن من خلاله دراسة عمليات التمكين والتقييد . وقد أكّد الجغرافيون الذين يعملون على مفاهيم الهيكلية على مكانية هذه العمليات .

في هذا الفصل ، نستخدم أمثلة من عملنا لإظهار قيمة نظرية الهيكلية في متابعة الاهتمام المستمر بالتأثيرات المتبادلة للمجتمع والفضاء في صياغة الجغرافيات اليومية . يبدأ الفصل على النحو الاتي : نستعرض أولاً المفاهيم المركزية لنظرية غيدنز الهيكلية ، وهي النظرية المُستخدمة في البحث الجغرافي ؛ ثم نشير بإيجاز إلى أعمال أخرى لجغرافيين استخدموا مفاهيم الهيكلية ، قبل أن نتناول بتفصيل كيف استُرشد عملنا بنظرية الهيكلية ؛ وأخيرًا ، نعلق على الفائدة المستمرة لنظرية الهيكلية وإعادة صياغتها في سياق النظريات الاجتماعية المعاصرة الأخرى التي تُثري أجندة البحث الجغرافي البشري . في سياق الفصل ، نقدم أمثلة بحثية لتجسيد بعض المفاهيم النظرية المعروضة.

نظرية غيدنز البنيوية

تنظر نظرية غيدنز البنيوية ، كما طورها (1976؛ 1979؛ 1981؛ 1984) ، أساسًا إلى أن المجتمع ليس موجودًا بمعزل عن النشاط البشري ولا هو نتاج له . بل تشير هذه النظرية إلى وجود مكانية متأصلة في الحياة الاجتماعية . بالنسبة لغيدنز، لم تكن مشكلة النظام ، التي كانت محور المشروع السوسيولوجي آنذاك ، اكتشاف نمط أساسي للحياة الاجتماعية ، بل كانت **اهتمامًا بكيفية ارتباط الأنظمة الاجتماعية ببعضها في الزمان والمكان** . كان هذا الاهتمام محاولةً لتقديم نظرية غير وظيفية للمجتمع ، استجابةً لنظرية تقليدية لم تتمكن من دمج التفاعل المباشر مع التحليل المؤسسي . كان ينوي إضفاء حساسية على التحليل الاجتماعي من خلال التأكيد على معرفة الفاعل الفردي في إعادة إنتاج الممارسة الاجتماعية ، وسياقية الحياة الاجتماعية الزمانية والمكانية ، والطبيعة التأويلية أو التفسيرية للتحليل .

يُعد مفهوم ازدواجية البنية جوهريًا في نظرية غيدنز البنيوية ، حيث لا يُعد الفاعل البشري ولا المجتمع صاحبَي الأولوية . هذه الثنائية هي عملية تكرارية تكون فيها "البنية وسيطًا ونتيجةً لإعادة إنتاج الممارسات" (1981: 5) التي تغذيها هي نفسها العواقب المقصودة وغير المقصودة للسلوك البشري . يُعد مفهوما النظام الاجتماعي والبنية الاجتماعية جزءًا لا يتجزأ من مفهوم ازدواجية البنية . الأنظمة الاجتماعية ، في جوهرها ، علاقات مُنظَّمة بين الأفراد والجماعات ، تشمل ممارسات اجتماعية تُعاد إنتاجها بشكل روتيني في الزمان والمكان . ترتكز هذه الأنظمة الاجتماعية على معرفة الفاعلين ، وتحتوي على خصائص مُهيكلة كما يُفهم من خلال مفهوم البنية . تُعد البنية "قواعد وموارد" ، لا توجد زمانيًا إلا عندما "تُقدَّم" من قِبل الفاعلين ؛ أي عندما تُستَخدَم كمخزون من المعرفة في النشاط اليومي . وبالتالي، لا توجد البنية إلا من خلال الممارسات الملموسة للفاعلين البشريين ، المُعترف بهم ككفاءة ومعرفة ، والذين يُعيدون إنتاج الحياة الاجتماعية من خلال لقاءاتهم اليومية الروتينية .

من هذا المنطلق ، تُعد المؤسسات قواعد وموارد تُعاد إنتاجها بشكل مزمن . تشمل الموارد البيئات المادية والعلاقات الاجتماعية داخل هذه البيئات . علاوة على ذلك ، فإن القواعد ليست ثابتة ، بل يمكن تعديلها وفقًا لطبيعة المعاني والتقييمات وحتى السلطة القابلة للتفاوض . من العناصر المهمة في مفهوم الهيكلة الدور الرئيسي الذي تلعبه النتائج غير المقصودة للنشاط البشري ، وكذلك تلك المقصودة . تنعكس هذه النتائج مجتمعةً في "الهيكل" وتؤثر بشكل أكبر على الأنشطة اليومية ، بكونها "الشروط غير المعترف بها لمزيد من الأفعال" (1984: 8) . وبالتالي ، فإن "القيود" ليست مفروضة خارجيًا على تدفق العمل ؛ بل إن المكونات الهيكلية للمجتمع ، "المُدمجة بشكل دائم في المؤسسات" ، تُعدّ مُمكّنة ومُقيّدة في آنٍ واحد (1983: 78).

يكشف اكتشاف الهيكلية عن كلٍّ من القيد والتمكين . من الجوانب الأساسية لثنائية البنية فهم غيدنز للفاعلية البشرية وسياق الحياة الاجتماعية . تستند الفاعلية إلى فكرة أن الفرد هو فاعل الأحداث ، وكان بإمكانه التصرف بشكل مختلف . لا تكمن المسألة في كون "الفاعلية" صفة مُعطاة ، بل في كيفية تصرف البشر كفاعلين . هنا ، يُميز غيدنز بين الوعي الخطابي - ما يمكن للناس التعبير عنه بكلمات عن أفعالهم - والوعي العملي - أي ما يعرفه الفاعلون عن كيفية القيام بالأشياء في سياقات متنوعة من الحياة الاجتماعية ، لكنهم قد لا يتمكنون من التعبير عنه بكلمات . يرى غيدنز التطبيق الروتيني والانعكاسي للوعي العملي ، من قِبل ممارسين مطلعين ، في التكوين المزمن للحياة الاجتماعية وإعادة تشكيلها . قد لا يعرف الفاعلون معاني القواعد ، لكنهم يستطيعون استخدامها بمهارة في التفاعل مع إمكانية التحول ، لأن القواعد والموارد ليست ثابتة ، بل هي وسائط... إنتاج الممارسات وإعادة إنتاجها.

تتمتع هذه القدرة التحويلية بأهمية بالغة في فهم مفهوم القوة الاجتماعية وعلاقتها بالفاعلية البشرية ، إذ يمكن توليد التغيير الاجتماعي من خلال الممارسة الاجتماعية التي تنبع من الأنشطة اليومية للأفراد . ومع ذلك ، فإن السلوك الاستراتيجي للفاعلين البشريين لا يحدث في ظل ظروف من اختيارهم . تصبح العواقب غير المقصودة شروطًا تُقيد المزيد من العمل ، ويشير ربط النظم الاجتماعية من خلال امتدادها عبر الزمان والمكان إلى أن الخصائص الهيكلية للنظم الاجتماعية قد تكون خارجة عن سيطرة الفاعلين الأفراد . ويتحقق هذا الامتداد ، أي تكامل النظم ، من خلال وسائل تكنولوجية مثل الرسائل والطباعة والهاتف ، ومؤخرًا ، من خلال طفرة الاتصالات الإلكترونية.

يُعد وضع التفاعل البشري في سياق الزمان والمكان أمرًا محوريًا في تفكير جيدنز، كما هو مُقترح في هذه العبارة: إن البيئات والظروف التي يحدث فيها العمل لا تأتي من فراغ ؛ يجب تفسيرها هي نفسها ضمن الإطار المنطقي نفسه الذي يجب أن يُفسَّر فيه أي فعل موصوف و"مفهوم" . هذه هي الظاهرة تحديدًا التي أهتم بها بالهيكلة .(1984 :343) . كما يشير ثريفت (1985) ، فإن إدراك سياقية الفعل في الزمان والمكان لا يعني الدفاع عن المحلية ، بل الدعوة إلى الاهتمام بكيفية تغير الأنظمة الاجتماعية عبر الزمان والمكان . وهو يفسر وجهة نظر جيدنز على أنها وجهة نظر تستوعب الجوانب المكانية للتجربة الاجتماعية من خلال فهم التداخل بين "الحضور" و"الغياب" في الحياة اليومية ، أو بعبارة أخرى التفاعل المستمر بين الفاعلية والبنية عبر الزمان والمكان .

وهنا تبرز أهمية مفهوم "**المحلية**" . تحدث المواقع على جميع المقاييس المادية ، من غرفة في منزل إلى الأراضي التي تحددها الدول القومية ، وهي ليست مجرد نقاط في المكان ، بل لها سمات تُستخدم "بطريقة روتينية لتشكيل المحتوى ذي المعنى للتفاعل" (جيدنز، 1985: 272) . علاوة على ذلك ، فإن هذه المواقع "مُقسّمة" ، مما يعني أن الممارسات الاجتماعية المنظمة في موقع معين قد "تُقسّم" من خلال التشريعات أو التفاهمات المشتركة غير الرسمية ، في الزمان والمكان . على سبيل المثال ، يُعد فصل المنزل عن مكان العمل شكلاً من أشكال الإقليمية ، تمامًا كما تُقسّم التقسيمات الداخلية للقاعات والغرف والأرضيات في المنزل وفقًا لاستخدامها الزمني ونوع النشاط .

ما يُصبح مهمًا هو تأثير الإقليمية على علاقات القوة ، حيث قد تكون بعض الممارسات الاجتماعية أكثر أو أقل وضوحًا ؛ تشمل الأمثلة عزل الجنون والجريمة ، من خلال الفصل المكاني (ينظر غليسون، 1999). بناءً على ذلك ، يمكن عد البيئة منطقيًا مصفوفة من المواقع ، أو بيئات اللقاءات ، التي تحتوي على مجموعات معينة من الموارد التي يمكن الافادة منها في العمل . تشمل الموارد السمات المادية والأشخاص في موقع ما ، ولكنها تشير أيضًا إلى **مخزون المعرفة** . من المهم ملاحظة أن المواقع ليست "مسلمات" بل هي مُصنّعة - لأن الوكالة البشرية تُعرّف البشر على أنهم صانعو بيئتهم ، وإن كان ذلك ضمن علاقات قوة غير متكافئة . ما يؤكده عمل غيدنز هو أن هناك قدرة تحويلية لجميع الأفعال البشرية . تتولد القوة من خلال توسع النظم والهياكل الاجتماعية عبر الزمان والمكان ، والتي تُختبر وتُعتمد في الوقت نفسه بكونها "قواعد وموارد" لمواقع معينة .

نظرية جيدنز الهيكلية وأعماله التجريبية

من المهم ملاحظة أن جيدنز يرى أن شرحه للهيكلية يوفر "مفاهيم حسية" لإثراء البحث ، بدلاً من مجموعة من المفاهيم المراد تطبيقها ؛ يشير فينشر (1987) إلى أنه لا يمكن استخلاص المفاهيم الفردية بسهولة من معالجة جيدنز الشاملة ومنهجه الشامل لنظرية الهيكلة . في الواقع ، استخدم الجغرافيون الذين

يدرسون مواضيع متنوعة تركيزات مختلفة في العمل على مفاهيم الهيكلة . على سبيل المثال ، عمل غريغوري (1982) وبريد (1984) على انخراط جيدنز النقدي في جغرافية الزمن في تتبع كيفية كون الظروف المادية للحياة اليومية أساسية لفهم المكان كعملية تتكشف . وقد حدثت محاولة مصاحبة لتحقيق رابط أكثر ثباتًا بين البنية والفاعلية من خلال عمل مايكل دير وآدم موس (موس ودير، 1986) اللذين كانا من بين أوائل الجغرافيين الذين فككوا لغة نظرية الهيكلة وحاولوا تطبيقها في دراسة تجريبية (في حالتهما ، حول رعاية الصحة العقلية وما يسمى بـ "غيتو المساكن الداخلية") .

برزت أفكار جيدنز لاحقًا كمحفز في ساحة نقاش محتدمة أعادت صياغة الجغرافيا الطبية لتصبح "جغرافيا صحية" من خلال تبني إطار اجتماعي ثقافي (دورن ولوز، 1994؛ كيرنز، 1993) . وقد استمرت قيمة تبني التوتر بين البنية والفاعلية ، سواءً استُدعيت من خلال لغة ومفاهيم نظرية الهيكلة ، أو من خلال إدراك أكثر شمولية للروابط المعقدة بين الفرد والمجتمع التي تعمل على مستويات متعددة ومختلفة ، في إثراء العمل الحديث حول الثقافة والصحة (جيسلر وكيرنز، 2002) . تُستخدم هذه المصطلحات بشكل معاصر في أبحاث الهجرة ، حيث يُستخدم مفهوم "النظام الأبوي المنظم" ، بالاعتماد مباشرةً على أعمال غيدنز ، في تحليلات إضفاء الطابع الجندري على عمليات الهجرة ونتائجها (هالفاكري، ١٩٩٥).

ويُركّز بشكل خاص على القواعد والموارد ، في سياق مفهوم الهيكلة الأساسي المتمثل في "ازدواجية الهيكل" ، في تنظير النشاط المجتمعي في معارضة إغلاق المدارس في أونتاريو ، كندا (فيبس، ٢٠٠٠) . وقد طوّر فيبس تصنيفًا للقواعد والموارد التي يمكن أن تكون مفيدة للمجتمعات لاستخدامها في النشاط ، ووجد أن نظرية الهيكلة حيوية لإعادة تفسير الأدبيات التعليمية وأدبيات إغلاق المرافق . وفي عملنا ، تأثرنا أيضًا بمفهوم غيدنز لدمج الفاعلية والهيكل في إطار واحد . قدمت مفاهيم محددة من نظرية الهيكلة لغيدنز منظورًا تحليليًا لعمل المؤلفة الأولى مع النساء ذوات الأطفال الصغار ، وما يزال التركيز على تكرارية الوكالة والهيكل يُلهم عملها اللاحق مع النساء المهاجرا ت. كما يحمل العمل الأخير للمؤلفة الثانية في جغرافية الصحة إرثًا من مفاهيم الهيكلة في تحليل العلاقات بين الصحة والمكان والرعاية الصحية ، حيث يُعترف بالأهمية المستمرة لمراعاة كل من الهيكل والوكالة.

نظرية الهيكلة، عمل الأمومة، وخلق "مساحة آمنة" للأطفال

في أوائل الثمانينيات ، كانت النساء ذوات الأطفال الصغار يدخلن سوق العمل بأجر بأعداد كبيرة غير مسبوقة . في بحثي ، كنت مهتمة بالضواحي كمكان عمل منزلي ، وبكيفية عمل النساء عمليًا و"أخلاقيًا" خلال الصراعات الناشئة عن المشاركة في العمل بأجر مع استمرارهن في كونهن مقدمات الرعاية الرئيسيات للأطفال . في لغة الهيكلة ، كنتُ مهتمةً بمعرفة أين وكيف تُشارك وتُتداول المعرفة ، في شكل معلومات ؛ أي أين وكيف تُعدّل المفاهيم والقواعد ومخزون المعرفة وتُعاد تأكيدها في سياق التغيير الاجتماعي هذا . كان من المتوقع أن تكون مواقع عمل الأمومة اليومي مليئةً بالمعاني الثقافية والجنسانية ، وأن "تُجسّد" من خلال التفاعل الاجتماعي . ساعدتني المفاهيم المُحفّزة لنظرية الهيكلة على شرح كيف كان "السياق" خلفيةً لحياة النساء في الدراسة . لم يكن من الواضح ما إذا كان هذا التغيير قد حدث بالفعل ، بل كيف كان له تأثيرٌ فعّال في طرق ممارستهن للأمومة في منطقةٍ معينة.

استُخدمت المقابلات المتعمقة والمذكرات التي دونتها المشاركات في الدراسة لاستكشاف جوانب مختلفة من روتين النساء اليومي - أفعالهن ومخاوفهن وتفسيراتهن لعملهن كأمهات ، بالإضافة إلى الأماكن

التي مارسن فيها هذه الأنشطة . ثم رسمتُ هذه البيانات باستخدام خرائط غيدنز الزمانية والمكانية ، التي أظهرت أين ذهبت النساء ، ومتى ، ومع من ، ولماذا (ينظر "يوم آنا"، الملحق 7.1). كشف هذا الرسم عن الفرص والقيود المفروضة على أماكن العمل اليومية للأمومة – المنازل ، وساحات المدارس ، والشوارع ، والحدائق ، ووسائل النقل - مما ساعدني على دراسة التفاعل بين الوكالة والهيكل ، بما في ذلك قدرة المرأة على تغيير معنى وممارسات الأمومة . أي، من خلال لغة الهيكلة ، لاحظتُ إقليمية الأماكن ، والقواعد والموارد التي استُخدمت ، والعواقب غير المقصودة لأفعال النساء على كيفية قدرتهن على الجمع بين عمل الأمومة والعمل المأجور.

تحت عنوان "ما هو الأفضل للأطفال" ، شاركت النساء أمثلة عملية على الجمع بين العمل المأجور والعمل المنزلي ، وأُعيد التفاوض على معنى الأم "الصالحة" . كانت مساحات الشارع والحدائق وساحات المدارس - حيث كانت النساء ينتظرن خروج أطفالهن من المدرسة - وجلسات تثقيف الوالدين في مرحلة ما قبل المدرسة ، كلها أماكن تُجرى فيها مثل هذه "الأحاديث الأمومية" . علاوة على ذلك ، من خلال هذه اللقاءات في المساحات المشتركة لعمل الأمومة ، وُجدت ظروف تُمكّن النساء من البقاء "أمهات صالحات" أثناء مشاركتهن في العمل المأجور . على سبيل المثال ، خلقت النساء مرونة في استخدامهن للوقت والمكان من خلال وضع ترتيبات لتبادل رعاية الأطفال ومجالستهم ، وجعل الشارع مكانًا آمنًا للأطفال من خلال "المراقبة" المشتركة للعب في الشارع . باختصار، يمكن ترك الأطفال تحت رعاية ورصد أمهات أخريات أثناء غياب المرأة عن المنزل (ديك، 1989؛ 1990؛ 1996).

هذا العمل الذي تناول نساء الضواحي، بتركيزه الدقيق على مواقع الحياة اليومية الروتينية ، واستناده إلى مفاهيم هيكلية مُحسِّنة ، سمح باستكشاف تداول المعاني والمعرفة والتفاوض عليها . وقد ألقى البحث الضوء على كيفية دخول مجموعة من الأفكار إلى مخزونات المعرفة ، وكيف أصبحت جزءًا من التكوين المتكرر والمعقد للمساحات والهويات، والتحول - وكذلك إعادة إنتاج - المعايير الثقافية . امتزجت الفعالية والهيكل ؛ فعملت مواقع النساء اليومية ، والروتين الذي هنّ جزء منه، كمواقع لإعادة الإنتاج والتغيير في عمل الأمومة والهوية الاجتماعية.

الجنسانية ومساحات المهاجرين

كما هو الحال في دراسة أمهات الضواحي ، يُظهر العمل اللاحق للمؤلفة الأولى مع النساء المهاجرات أنهن يتمتعن بمهارات ومعرفة ، ويتفاوضن على المعرفة الثقافية في مواقع مختلفة – المنزل ، وأماكن العمل ، وبرامج تعليم المهاجرين ، وأماكن الأحياء مثل الحدائق . وجدت دراسة تتعلق بإدارة النساء المهاجرات للصحة والمرض أن العلاج التقليدي والمعارف الطبية الحيوية تم التفاوض عليها ، وفي بعض الأحيان تم دمجها بطريقة توحي بأن النساء براغماتيات في طريقة استخدامهن للطب التقليدي والعلاجات الشعبية في التعامل مع المرض ، مستخدمات هذه الأساليب بدلاً من ، أو بالإضافة إلى ، الاستراتيجيات الطبية الحيوية وفقًا لمدى ملاءمتها لظروف حياتهن اليومية (ديك، 1995).

يعارض هذا العمل الفكرة السائدة بأن المعتقدات الثقافية تُشكل حواجز أمام استخدام بعض الأقليات للطب الغربي . كما تُظهر دراسة أخرى كيف تُعاد صياغة مفاهيم الأنوثة والأمومة في مجتمعات محلية محددة . الأماكن ؛ هنا ، لا تتفاوض النساء المهاجرات فقط على المعرفة المُسلّم بها التي يجلبنها من بلدانهن الأصلية ، بل أيضًا على "طرق القيام" غير المألوفة التي يواجهنها في كندا (ديك وماكلارين، 2002؛ ماكلارين وديك، 2002) . وكما هو الحال في دراسة عمل الأمومة ، تُظهر هاتان الدراستان أن ممارسات المرأة اليومية ،

والمعرفة التي تُوجّهها ، تتشكل من خلال التفاعلات في الأماكن اليومية التي تُشكّل الحياة اليومية ، حيث تتجلى الفعالية والهيكلية . في هذا العمل الأخير ، تسود رؤى نظرية جيدنز في الهيكلة ، ولكن من خلال منظور مختلف ومجموعة مختلفة من الحساسيات . على سبيل المثال ، كانت الفجوة في عمل جيدنز تتمثل في تهميش الثقافة والجنس . هذا لا يعني ، مع ذلك ، أن نظرية جيدنز في الهيكلة لا تحظى بشعبية في العمل المتعلق بالهجرة وعمليات الهجرة ونتائجها . على سبيل المثال ، يرى هالفاكري (1995) أن نظرية الهيكلة مفيدة في تحليل جندرة الهجرة من خلال مفهوم "النظام الأبوي المنظم" إلى جانب النهج السيرة الذاتية (ينظر أيضًا هالفاكري وبويل، 1999). وهنا ، يُستعان بوضوح بثنائية جيدنز في الهيكلية لتوضيح كيف أن الاختلافات في مشاركة المهاجرين من النساء والرجال في سوق العمل ، والتي تُؤطرها مكانة المرأة المعتادة كمهاجرة ثانوية ، تُعيد بناء هياكل النظام الأبوي التي تُمثل "الوسيط والنتيجة" لجندرة "هجرة العمالة" (هالفاكري، 1995: 173).

مفاهيم الهيكلة والصحة والمكان

يوضح عمل المؤلف الثاني الطرق التي تُفيد بها نظرية الهيكلة في تحليل الأبعاد المختلفة للعلاقات بين الصحة والمكان . يُرجع اهتمامه بأفكار الهيكلة إلى أطروحته للماجستير ، حيث تناول فيها الصلات بين السلوك الفردي والتأثيرات المؤسسية وسياسات المجتمع في منطقة ريفية في نيوزيلندا ، حيث وُجدت مقترحات لمشروع ري واسع النطاق (كيرنز، 1982) . وقد انتقلت هذه الاهتمامات بالروابط بين المقاييس الجغرافية ومجالات العمل معه إلى كندا، حيث انضم إلى تقليد ناشئ لأبحاث رعاية الصحة العقلية في جامعة ماكماستر . وحتى الآن ، احتضن هذا العمل تقليدين منفصلين إلى حد كبير، من العمل السياسي والاقتصادي والسلوكي ، واللذين يرتبطان بشكل فضفاض بمصطلحي "الهيكل" و"الفاعلية" . بعبارة أخرى ، بينما اعتمدت بعض الدراسات المتعلقة بأنظمة رعاية الصحة العقلية ومستخدميها على مستويات عالية من العملية والنتائج ، مع التركيز على القوة والطبقة (الهيكل) ، تناولت دراسات أخرى التفاصيل (الإحصائية إلى حد كبير) المتعلقة بمن كان يفكر أو يفعل ماذا ، ومتى (الفاعلية) (على سبيل المثال، دير، 1981؛ دير وتايلور، 1982).

حاول عمل دير وتايلور (1982) الجمع بين المنظورين السياسي والاقتصادي والسلوكي في البحث عن أسباب رفض بعض المجتمعات فكرة إنشاء دور جماعية للمرضى العقليين ، وتبع ذلك تعاون دير مع موس في دراسة العلاقة بين الفاعلية والهيكل . أثّر العمل جنبًا إلى جنب مع الأشخاص الذين كانوا يطبقون هذه النظرية حتمًا على عمل المؤلف الثاني . كان مفتونًا ، ومهتمًا ، بالحياة المجزأة للأشخاص المصابين بأمراض نفسية طويلة الأمد ، والذين أصبح عالمهم ما يسمى بـ "غيتو بيوت الإقامة" . بسبب خيبة أمله من تعميم العينات الإحصائية الكبيرة ونزع الصفة الشخصية عن التفسيرات السياسية والاقتصادية للفقر الموصوم ، سعى إلى تجربة مباشرة لعالم مركز الإيواء والبيت الداخلي كوسيلة لإثراء الأسئلة المطروحة في دراسة استقصائية صغيرة النطاق وتحليلها (كيرنز، 1987).

كانت أفكار الإحساس بالمكان محورية في البحث ، ولكن هذا البناء نفسه أُعيد صياغته ليشمل معطيات البنية والفاعلية . لأن الإفراط في التفكير الإنساني هدد بفصل إنسانية الناس بشكل غير واقعي عن المجتمع والتأثير المادي ، وبالتالي ، النزوح عن كل ما يُبقينا في مكاننا . في أعمال أخرى في مجال جغرافية الصحة ، اتبع باير وآخرون (2000) التفاعل الرائد مع أفكار غيدنز ، من قِبل موس ودير، على سبيل المثال ، حيث استخدموا مفاهيم غيدن عن قيود المكان والزمان لتتبع التأثيرات على توظيف الأطباء والاحتفاظ بهم . في الواقع ، مع تبني العمل الجغرافي في مجال الصحة للحدود الضبابية للجغرافيا الاجتماعية والثقافية ، فإن

الأفكار المستمدة من نظرية الهيكلة تحتفظ بطابعها سواءً استُخدمت لغة غيدنز المحددة لتفسير الهيكلة أم لا . على سبيل المثال ، في محاولة لفهم تأثير ارتفاع تكاليف السكن على رفاهية الأسرة ، طُوّر مفهوم "خصم الصحة" للإشارة إلى الطريقة التي تُقيّد بها تكاليف السكن الثابتة الإنفاق ليس فقط على الرعاية الصحية ، بل أيضًا على الممارسات الصحية .

ضمن عينة من عائلات المهاجرين من جزر المحيط الهادئ المصنفة عرقيًا ، كشفت المقابلات المتعمقة أن الوكالة ما تزال قائمة وأن القرارات مقيدة ليس فقط بهياكل الإسكان وتوفير الرعاية الاجتماعية ، ولكن أيضًا بالتحريم الثقافي (مثل تبرعات الكنائس) (تشيير وآخرون، 2002) . وفي مكان آخر، في منطقة هوكيانجا الريفية في نيوزيلندا ، أتاحت مقاومة الإصلاحات الصحية والخسارة المحتملة لنظام رعاية صحية مملوك محليًا فرصةً لاستخلاص ديناميكيات البنية والفاعلية . على وجه الخصوص ، وُجد أن فاعلية "رواد الأعمال الاجتماعيين" حاسمة في تحدي وتحويل البنية المؤسسية التي كانت تُعد لعنة لما قد يُطلق عليه غيدنز اسم المدة الطويلة لتقاليد المجتمع وتاريخه (كيرنز، 1998).

تُظهر أبحاث أخرى أنه كما لا يُمكن فصل الصحة عن المكان في فهم تجربة الصحة والمرض، فلا ينبغي فصل الرعاية الصحية ومستهلكيها - المحتملين أو الفعليين - تحليليًا، لأن كلًا منهما يُشكل الآخر ويُهيكله (كيرنز وبارنيت، 1997) . باختصار، تأثرت جغرافية الصحة بالتأثير العام أكثر من تأثرها بمفاهيم أو لغة الهيكلة . لقد حفّز ذلك جغرافيي الصحة على تبني أفكار الهيكلية والفاعلية ، لدرجة أنه نادرًا ما تُبحث أو تُنظّر التجارب الصحية الفردية أو الشروط الهيكلية للصحة والرعاية الصحية دون الرجوع إلى بعضها البعض . ومن وجهة نظرنا، يسود الآن منظور هيكلي "مُدمج"، ويتجلى ذلك في الجغرافيات الصحية الحديثة التي تتعارض فيها القيود الهيكلية ، مثل "ثقافة العقد" ، مع التطلعات الفردية نحو تنمية المجتمع (كيرنز وجوزيف، 2000).

المتابعة والاستنتاجات

كان عمل جيدنز قيّمًا للجغرافيين في الجمع بين الاجتماعي والمكاني من خلال تصور سياق الحياة الاجتماعية الذي يُقرّ بالفاعل البشري والهيكل في إطار متكامل . أثرت مفاهيم الهيكلة في البداية على لحظة في الجغرافيا الثقافية ، حين انخرطت النظرية الاجتماعية بجدية في صياغة الأسئلة والمناهج النظرية والمنهجية للجغرافيا البشرية (جريجسون، 1987) . وبرزت مفاهيم المحلية والإقليمية بشكل خاص في معالجة قضايا الحجم ومفهوم المكان . ولعل الرابط بين تصور جيدنز للزمان والمكان والرغبة في تجاوز الوضعية الكامنة في جغرافية هاجرستراند الزمنية هو ما حفّز أول دراسة لأعمال جيدنز في ثمانينيات القرن العشرين . ومن الجدير بالذكر أيضًا أن الروابط الشخصية يمكن أن تؤدي إلى تحولات داخل المهن. وفي هذا الصدد ، يمكن القول إن الروابط الزمالة بين ديريك جريجوري وأنتوني جيدنز في كامبريدج كانت ذات تأثير كبير في تسهيل تدفق الأفكار من علم الاجتماع إلى الجغرافيا.

لا شك أن العمل الرائد في مجال العلاقات بين الفاعلية والبنية والتكوين المتكرر للأشخاص والأماكن كان أساسيًا لتطور البحث في الجغرافيا البشرية . ومع ذلك ، فإن التبني السريع لأفكار ما بعد الحداثة ضمن التحول الثقافي للجغرافيا البشرية قد حوّل التركيز المُركّز على مفاهيم الهيكلة . تتغلغل اهتمامات "الموجة الثالثة" بالاختلاف والهوية وعدم اليقين في العمل على الحافة النقدية لهذا التخصص . يندرج عملنا الحالي في هذا المناخ من البحث . فأين تقع مفاهيم الهيكلة الآن ؟ لقد مالت اهتمامات ما بعد البنيوية بالاختلاف والهوية إلى صرف الانتباه عن الظروف المادية و"القواعد والموارد" التي تتحقق من خلالها البنية ، لكن إشكالية

العلاقة بين الفاعلية والبنية ما تزال قائمة . وقد أشرنا سابقًا إلى بعض الأعمال الحديثة في الجغرافيا التي تعتمد بشكل مباشر على مفاهيم من نظرية الهيكلة لغيدنز.

في عملنا ، تُشكّل مفاهيم الهيكلة ركيزةً أساسيةً للتركيبة : فبينما لا نعتمد صراحةً على مفاهيم غيدنز ، فإننا نُدرك الأهمية النظرية المستمرة للتوتر بين الهيكل والفاعلية في بناء تفسيرات الجغرافيا اليومية . ومع ذلك ، فإن عولمة السلع والخدمات ، وحركة الأشخاص عبر الوطنية بمعدلات غير مسبوقة ، والتقدم الهائل في تكنولوجيا الاتصالات ، وإعادة الهيكلة الاقتصادية ، قد غيّرت ، إن لم تُمح ، إشكالية العلاقة بين الفاعلية والبنية . أُعيدت صياغة هذا المفهوم وتوسعت من خلال تناول قضايا علاقات القوة التي تمتد عبر الزمان والمكان عالميًا ، وتُهيئ ظروف "المجتمعات متعددة الثقافات" الصناعية الغربية التي أصبحت الآن أكثر بروزًا مما كانت عليه في أوائل ومنتصف ثمانينيات القرن العشرين . ومنذ ثمانينيات القرن العشرين، أصبحت أهمية الجندر و"اللون الأبيض" كعلاقات قوة مُهيكلة ، وعدم استقرار المعاني ، محور اهتمام رئيسي في فهم المجتمعات الغربية ما بعد الصناعية ؛ وهذه أبعاد هيكلية لم تُعالج في صياغة جيدنز الأصلية لنظرية غير وظيفية للمجتمع . ومع ذلك ، فإن الرؤى المُستمدة من صياغة جيدنز لنظرية الهيكلية لا تُقدر بثمن في الحفاظ على الأهمية الحاسمة للمادية وقضايا الحجم في التحليلات.

تحتفظ مفاهيم الهيكلية أيضًا بسمعتها في فهم كيف تُشكِّل مساحات / أماكن الحياة اليومية المعاني التي تُعاد إنتاجها أو تُعاد صياغتها على نطاق ضيق، وكيف تُشكِّلها. ويستمرّ الجدل حول الهيكلية والفاعلية أيضًا في الأعمال التي تُعنى بالطريقة التي يكون بها العمل الفردي والجماعي مقيَّدًا دائمًا ، ومع ذلك يمتلك القدرة على إحداث تحولات على مستوى سياسات المجتمع وتجربة المكان. تشير الأعمال الحديثة التي تعتمد تحديدًا على نظرية الهيكلية إلى وجود فرصة كبيرة لتوظيف مفاهيمها التأسيسية بطرق جديدة، مع استمرار تكشّف عالم قائم على المقاييس المتشابكة للعمليات العالمية والمحلية.

الملحق 7.1:

يوم آنا

لدى آنا طفلان ، يبلغان من العمر سبع وأربع سنوات . ورغم عملها لفترات قصيرة منذ إنجابها ، قررت عدم العودة إلى العمل بأجر حتى التحق طفلاها بالمدرسة بدوام كامل . توضح خريطة الزمان والمكان (الشكل 7.1) روتينها اليومي، مشيرةً إلى أماكن وتسلسل أنشطتها في يوم سجّلته ووصفته في مقابلة . المنزل (المُمثّل بالعمود الأوسط من المربعات) هو نقطة انطلاق رحلاتها ونقطة عودتها . تشير الأعمدة الأخرى من المربعات إلى مواقع أنشطتها اليومية ، مثل المدرسة ومرحلة ما قبل المدرسة ، وتلك التي قد تكون أقل انتظامًا ولكنها تُشكّل النشاط الروتيني لأعمال الأمومة ورعاية المنزل . السمات الثابتة لأيام آنا خلال الأسبوع هي ساعات عمل زوجها وجداول المدرسة ومرحلة ما قبل المدرسة للأطفال . كما يتضح من خريطة الزمان والمكان، فإن استخدامها الأكثر تقديرًا للزمان والمكان يتمحور أيضًا حول أنشطة الأطفال ، مثل دروس كرة القدم والسباحة ، أو غيرها من الأنشطة المنزلية ، مثل التسوق لتلبية الاحتياجات اليومية وأخذ حيوان العائلة الأليف إلى الطبيب البيطري.

يشير هذا الرسم إلى انشغال أيامها ، كما يشير تعليقها : "إن لم يكن شيئًا ، فهو شيء آخر . أجد صعوبة أحيانًا في تتبع ما يجب عليّ فعله كل يوم" . في حين أن نشاطها قد يبدو عاديًا من الخارج ، فإن مناقشة نظرية الهيكلة التي قرأتها تشير إلى أن هذا التنظيم والاستخدام اليومي للزمان والمكان هو جوهر الاستمرارية والتحول الثقافي !

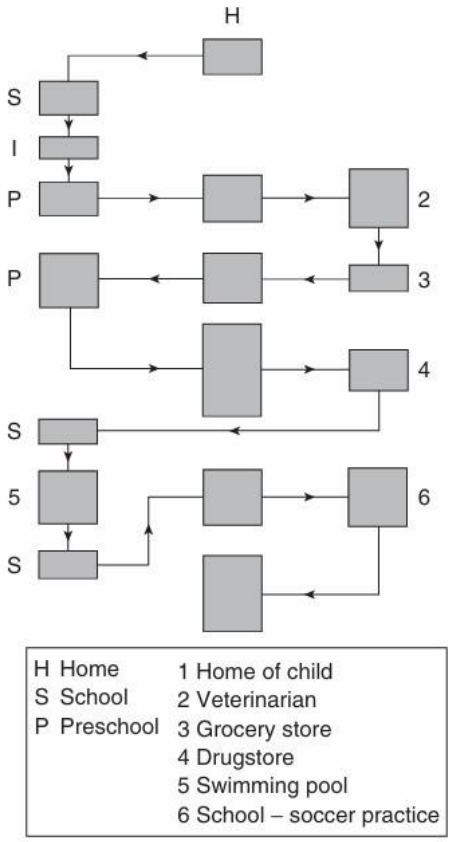

Figure 7.1

الملحق 7.2

سكن ديفيد

يعيش ديفيد في مأوى داخلي في شارع يبعد بضع بنايات فقط عن الطرف الأفقر من شارع مين ستريت في وسط المدينة . شُخِّصَ بمرض الفصام البارانويدي قبل سبع سنوات في البلدة الصغيرة التي نشأ فيها ، ودخل المستشفى في المدينة الإقليمية . بعد خروجه من المستشفى ، بقي في المدينة ، حيث توجد أفضل خدمة رعاية صحية نفسية مجتمعية ، وحيث يعيش مرضى سابقون آخرون تعرف عليهم خلال إقاماته العديدة في المستشفى . كما يشعر بأمان أكبر في المدينة ، بعيدًا عن عائلته وأصدقائه ومن عرفوه في سن المراهقة . غرفته مظلمة وعفنة ، وبالكاد تكفي لسرير وخزانة وموقد للطهي . إنها واحدة من 18 غرفة في المسكن الكبير المترامي الأطراف الذي عرف أيامًا أفضل .

يضطر ديفيد إلى مغادرة المأوى الداخلي كل صباح بعد الإفطار، ولا يستطيع العودة إلا بعد الظهر. يقول إنها مجرد قواعد المنزل . لا توجد خيارات كثيرة خلال النهار. يمشي كثيرًا . يمكنه قضاء بعض الوقت في "مركز الرعاية" ، وهو مركز "زيارة سريعة" تديره جمعية الصحة العقلية المحلية . لكن ديفيد يختار قضاء المزيد من الوقت في متجر الدونات المحلي ، حيث يغض أصحابه الطرف عن المدة التي يستغرقها لإنهاء قهوته . خياراته محدودة ، لكنه يتمتع ببعض الحرية : يختار التسكع في مكان أقل وصمة عار من بين زبائنه الدائمين الآخرين . ومع ذلك ، من نواحٍ أخرى ، فإن حياته منظمة للغاية على عدة مستويات . أولاً ،

على مستوى الأسر ة، تطرده القواعد إلى الشارع بحثًا عن أماكن للراحة خلال النهار. ثانيًا، على المستوى الحضري ، تعني اللوائح أن دور الإقامة الداخلية مثل داره متجمعة في عدد قليل من شوارع المدينة ، مما يعزز فرصه في التواصل مع المرضى السابقين ولكنه يزيد من ظهورهم ويساهم في وصمة العار المرتبطة بالمرض العقلي . ثالثًا، وبعيدًا عن تفاصيل لقد تم هيكلة "مكان" ديفيد الحالي، "مكان" المرضى العقليين ، عبر أجيال من سوء الفهم المجتمعي والتهميش في نظام الرعاية الصحية، بحيث يتميز يوم ديفيد بالتكيف بدلاً من الإبداع.